الإعلام العربي الموجه للآخر والحوار بين الإسلام والغرب

د/ محمد قيراط
أستاذ مشارك، كلية الاتصال
جامعة الشارقة

المقدمـــة:

تضاعفت بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001 الحملات المعادية للإسلام واغتنمت جهات عديدة الفرصة لتأكيد الصور النمطية ولتمرير الرسائل والصور والأفكار التي تشّوه الإسلام وتفرغه من قيمه السامية ومن مبادئه الإنسانية الراقية. وأصبحت الدول العربية في نظر هذه الجهات المعاقل التي تفرّخ الإرهاب والمخازن التي تصدر الإرهابيين والانتحاريين والعدوالجديد المعادي للحرية والديمقراطية والحضارة الغربية. وقد جاءت هذه الحملات في وقت انتشر فيه مصطلح صراع الحضارات على يد منظرين أمثال صامويل هنتغتون وفرنسيس فوكوياما وغيرهم والذي تقوم فكرته على إقصاء الآخر والبقاء للأقوى. وبالرغم من دعوة بعض المفكرين لحوار الحضارات والأديان فهناك من يرّوج لفكرة أن الإسلام كان ولا يزال يشّكل خطرا على الحضارات الأخرى، وأنه معاد للهويات والثقافات والديانات الأخرى. وفي ظل هذا التشويه والحرب النفسية أبدعت ماكينات صناعة الرأي العام الغربية في تشكيل الوعي وقولبته وفق ما تمليه الأيديولوجية السائدة والمسيطرة، التي ترى في الإسلام عدوا للإنسانية وعدوا للحضارة الغربية، وأنه دين يقوم على الإرهاب وإقصاء الآخر. يقول الدكتور محمد عمارة في هذا الشأن:

هذه "النزعة المركزية" قد جعلت الثقافة الغربية تنكر تنوع العالم إلى حضارات متعددة ومتمايزة ومستقلة في ثقافاتها...فزعمت هذه المركزية أن الحضارة الغربية هي الحضارة العالمية...وتصب العالم- بالتغريب.. وأخيرا بالعولمة- في قالب حضاري وثقافي وقيمي وحيد...ولقد ضمن للغرب "راحة الضمير" أوموته!- وهويمارس هذا العدوان على "الآخر الحضاري"- وبالذات "الآخر الإسلامي"- ذلك الميراث المشوه والعدائي الذي حفلت به ثقافته المدنية تاريخيا، على اختلاف حقولها وميادينها، إزاء الإسلام ومقدساته وأمته وحضارته..وهوالميراث الذي لا يزال فاعلا في الإعلام الغربي..والتعليم الغربي..ودوائر الفكر والدراسات..وعند صناع القرار حتى كتابة هذه الصفحات!..(عمارة، 2004: 135-136)

وفي السنوات الأخيرة اهتزت صورة الإسلام والعرب لدى الرأي العام الدولي بصورة خطرة جدا وهوما انعكس في اتخاذ مواقف معادية وسلبية ضد الشعوب العربية والإسلامية في حالات عديدة ناهيك عن المضايقات والاعتقالات وسجن مئات الأبرياء من العرب والمسلمين في العديد من المطارات والعواصم العالمية بدون سابق إنذار ولا محاكمة ولا سبب واضح.

والمشكل هنا يُطرح على مستويين، المستوى الأول وهوالصورة الباهتة والضعيفة للإسلام داخل الدول الإسلامية نفسها حيث أن وسائل الإعلام العربية وقادة الرأي لم ينجحوا في احتواء الصور النمطية والأفكار والآراء المشوهة والمضللة للإسلام والمسلمين. كما أفرز الإسلام السياسي تضاربا في

الآراء والأطروحات ترك الشارع العربي والإسلامي في مفترق الطرق. أما على المستوى الثاني، فالمشكل يتمثل في غياب العمل الإعلامي الهادف وغياب إستراتيجية توّجه القنوات الفضائية العربية للتركيز على الإنتاج وخدمة المواطن العربي في تنويره وتوجيهه وتزويده بالرصيد المعرفي والثقافي والديني والحضاري. وفي عصر العولمة والثورة المعلوماتية جاءت الفضائيات العربية لتذوب في الثقافة العالمية وفي قيم الآخر وتنجرف مع التيار بدون إدراك ولا وعي، حيث أصبح هدف معظمها هوتحقيق الربح بغض النظر عما تقدمه وما هي القيم التي تحتويها الرسائل والمنتجات التي تبثها. من جهة أخرى نلاحظ أن العمل الإستراتيجي على المستوى العربي في ميدان الإعلام يكاد ينعدم، في وقت لم تستطع فيه اللجنة الإعلامية المنبثقة عن جامعة الدول العربية أن تواجه التحديات والرهانات التي يتعرض الإعلام العربي. وفي ذات الوقت نلاحظ غياب وضوح الرؤية وغياب معالم إستراتيجية إعلامية، على مستوى كل دولة عربية، ترقى إلى الدور المحوري الذي يجب أن يضطلع به الإعلام سواء على المستوى المحلي أوالإقليمي أوالدولي.

تناقش هذه الورقة إشكالية الإعلام العربي والحوار بين الإسلام والغرب من خلال استعراض ظاهرة الإسلاموفوبيا والتشويه المنهجي للإسلام والصراع الدولي على الرأي العام وعولمة الإسلام. كما تستعرض الورقة أزمة الإعلام العربي، وضعف الفضائيات العربية في محاورة الآخر وتقديم رسالة إعلامية هادفة تحمل القيم العربية الإسلامية وتفند الأساطير والأكاذيب الموّجهة ضد الإسلام. كما تتطرق الدراسة لإشكالية الغرب والعالم الإسلامي وكيف ينظر كل طرف للطرف الآخر، وهل هناك توجه نحوالتعايش والتفاهم والحوار بين الإسلام والغرب أم أن هناك نية للمواجهة والصراع والصدام.

الإشكالية:

تتمثل إشكالية هذا البحث في الوضع غير السوي الذي يتميز به الحوار بين الإسلام والغرب. فمن جهة نلاحظ رفض النصرانية واليهودية للحوار والتعايش مع الإسلام والقناعة بضرورة التنصير والتهويد والقضاء على كل ما هوإسلام. فيما يؤمن المسلمون بكل الرسالات ويعظمون كل الرسل والأنبياء. نلاحظ كذلك أن النزعة المركزية في الحضارة الغربية تهدف إلى تغريب العالم وإلغاء الآخر. من جهة أخرى نلاحظ ضعف وتبعية الإعلام العربي وعدم امتلاكه مشروع إعلامي عربي فعال سواء على المستوى الداخلي أوالمستوى الخارجي. فضلا عن وجود أزمة في الإعلام العربي الموّجه للآخر فتحت الباب على مصراعيه أمام الغرب للتلاعب والتحكم والسيطرة واستعمال كل وسائل واستراتيجيات التشويه والتضليل إزاء كل ما هوإسلامي وعربي.

أسئلة البحث:

س1: ما أسباب فشل الحوار بين الإسلام والغرب؟

س2: ما موقف الغرب من الإسلام؟

س3: ما موقف الإسلام من الغرب والديانات الأخرى؟

س4: لماذا فشل الإعلام العربي في مخاطبة الآخر؟

س5: ما سبل تصحيح صورة الإسلام وإقامة حوار متوازن ومتكافئ وفعال مع الغرب؟

المنهجيـــة:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة إشكالية الإعلام العربي والحوار بين الإسلام والغرب. وللإجابة على تساؤلات الدراسة تطرق الباحث إلى ستة محاور رئيسية تتمثل في : ظاهرة الإسلاموفوبيا والتشويه المنهجي للإسلام، التحديات التي تواجه الفضائيات العربية ، أزمة الإعلام العربي، غياب مشروع إعلامي عربي، الغرب والعالم الإسلامي: المواجهة بدل الحوار، وإشكالية التعايش والمواجهة بين الإسلام والغرب وأخيرا سبل تصحيح صورة الإسلام وبناء حوار فعال مع الآخر.

ظاهرة الإسلاموفوبيا و التشويه المنهجي للإسلام:

منذ أحداث 11 سبتمبر 2001 كثرت حملات التفتيش واعتقال ومضايقة العرب والمسلمين الزائرين والمقيمين في العديد من الدول الغربية من قبل الأجهزة الأمنية المختلفة بسبب وبدون سبب. وأصبحت العمليات الإرهابية والجرائم مقترنة بالعرب والمسلمين وانتشرت بذلك ثقافة الخوف من الإسلام. هذا الدين الذي تم تصويره وتقديمه للرأي العام الدولي من قبل الصناعات الإعلامية والثقافية العالمية الغربية، على أنه دين القتل والعنف والإقصاء وعلى أنه دين غير متسامح. يقول المفكر القومي العربي ميشيل عفلق في هذا السياق:

إن أوروبا اليوم، كما كانت في الماضي، تخاف على نفسها من الإسلام..وإن المنافسة بين الغرب والأمة العربيـــة ســـببها الـــدور الحضـــاري الـــذي جـــاء بـــه الإسلام..والحروب الصليبية لم تنته بعد، وصيغتها الأخيرة هي الكيان الصهيوني..فلقد أصبحت اليهودية-بقوة الصهيونية في الغرب- جزءا عضويا في جسم

الغرب، وحليفا لمحاربة الإسلام..ومنذ قرون عديدة والغرب الاستعماري يخوض صراعا تاريخيا ضد

الإسلام والأمة العربية، بدافع التعصب الديني والعنصري وحب الاستغلال والهيمنة..ولقد أصبح

الغرب اليوم أشد أعداء العرب والإسلام...(عمارة، 2004: 151-152).

كما استهدفت حملات إعلامية ودعائية مغرضة ومضللة عديدة الدين الإسلامي من خلال التخويف من الإسلام والتحريض ضد المسلمين ومطالبة أجهزة الأمن لتكثيف حملات الاعتقالات ضدهم والتدخل في تفاصيل الحياة الشخصية للمسلمين المقيمين في الدول الغربية ومراقبة تنقلاتهم ونشاطهم وحتى تصرفاتهم اليومية. وهكذا انتشرت صناعة الخوف وتفننت فيها بعض الدول والجهات التي تستهدف كل ما هوعربي، ومسلم. وقد أدت هذه الحملات إلى اهتزاز صورة الإسلام والعرب لدى الرأي العام الدولي بصورة خطرة جدا ساهمت في العديد من المرات في اتخاذ مواقف معادية وسلبية ضد الشعوب العربية والإسلامية. وكنتيجة لهذه الحملات المنظمة والتشويه والتضليل أصبح الرأي العام في الدول الغربية معاد ومتخوف من الإسلام والمسلمين والعرب وأصبح، ووفق الصور النمطية التي قدمت له، يؤمن بصراع الحضارات وصدامها. والأخطر من هذا هوانضمام قادة الرأي وصناع القرار والساسة وحتى نسبة كبيرة من المثقفين إلى قافلة المهاجمين على الإسلام واستهدافه وتشويهه. وأصبح العديد ينّظر ويفسر قضايا وشؤون الإسلام والمسلمين والحضارة الإسلامية عن جهل وبثقافة الحقد والكراهية والانتقام. يقول جاك بيرك، المستشرق الفرنسي:

إن الإسلام الذي هوأخر الديانات السماوية الثلاث، والذي يدين به أزيد من مليار نسمة في العالم، والذي هوقريب من الغرب جغرافيا، وتاريخيا، وحتى من ناحية القيم والمفاهيم..قد ظل ويظل حتى هذه الساعة، بالنسبة للغرب: ابن العم المجهول، والأخ المرفوض..والمنكور الأبدي..والمبعد الأبدي..والمتهم الأبدي..والمشتبه به الأبدي. (المصباحي، 2000/1/1)

ومن جهة أخرى، تعاني الجاليات المسلمة المقيمة في الدول الغربية معاناة شديدة من الممارسات والمضايقات العديدة التي تقوم بها أجهزة أمنية عديدة ومختلفة. فهناك درجة كبيرة من الإهانة والتعدي على الحريات الفردية وعلى حقوق الإنسان والنتيجة الحتمية لكل هذا، هي انتشار الحقد والعنصرية والكراهية ضد الإسلام والمسلمين. فمن جهة نلاحظ صورة مشوهة ومضللة للإسلام، تفننت في صناعتها جهات عديدة من خلال وسائل الإعلام والصناعات الثقافية المختلفة. ومن جهة أخرى، نلاحظ الضعف الكبير والغياب شبه التام للمخرجات الإعلامية والصناعات الثقافية العربية والإسلامية التي تقدم الإسلام للآخر وتسوّق صورة الحضارة الإسلامية والمسلمين على حقيقتها. هذه الوضعية أدت إلى فشل وسائل الإعلام العربية وقادة الرأي في احتواء الصور النمطية والآراء المشوهة والمضللة للإسلام والمسلمين وتفنيدها بالأدلة ولحجج والبراهين والمنطق.

الإشكال المطروح هوهل أستطاع المسلمون تقديم الإسلام إلى الآخر بشكل علمي منهجي مدروس وفعال؟ ماذا قدم الإعلام العربي والإسلامي للآخر؟ وأين هي الصناعات الإعلامية والثقافية العربية من رسالة تقديم الدين

الحنيف والحضارة الإسلامية للآخر. ماذا عن الإنجازات ولإنتاج العلمي والفكري والحضاري؟ هل جدد المسلمون الخطاب الديني؟ هل أتقنوا استعمال فنيات الحوار والإقناع والعرض في تعاملهم مع الآخر؟

كشفت أحداث 11 سبتمبر 2001 عن الإرهاب الفكري الذي تمارسه الآلة الإعلامية الغربية على عقول الناس والبشر والرأي العام، حيث أصبحت كلمة العرب والمسلمين مرادفة للإرهاب والجهل والتعصب وإقصاء الآخر وأصبحت معظم وسائل الإعلام الغربية تشكل وتصنع صورا نمطية وأنظمة فكرية ومعتقدات تجعل العربي والمسلم شخص معاد للإنسانية وللبشرية وللأخلاق وللقيم السامية. فهناك "قولبة" فكرية وذهنية وسيكولوجية تفرز إدراكا معاديا ومناهضا لكل ما هوإسلام وعرب. كما أصبحت أجندة وسائل الإعلام الغربية تسلم بأمور كثيرة، وهي في حقيقة الأمر خاطئة، عنصرية ومبنية على أفكار مسبقة وصور نمطية.

أكدت معظم الدراسات والأبحاث العلمية أن وسائل الإعلام الغربية وخاصة الأمريكية منها من صحافة وإذاعة وتلفزيون وسينما وحتى الكتب ترسم صورة مشوّهة وسلبية وغير صحيحة عن الإسلام والعرب في مختلف المجالات والمضامين. وهذه الصور النمطية تكون في معظم الأحيان نتيجة لأفكار مسبقة ولحقد على الأمة العربية والإسلامية ولجهل بتاريخ العرب وحضارتهم وثقافتهم وأخيرا للصراع الحضاري بين الغرب والإسلام. وقد أصبحت هذه الصور النمطية منتشرة ومسلم بها في أذهان الكثيرين وقد نلخصها فيما يلي: الإسلام دين العنف والإرهاب، الإسلام يضطهد المرأة، المسلمون يتزوجون بأربع نساء، الإسلام ضد حرية الاعتقاد، الإسلام ضد الديمقراطية وحقوق الإنسان، الإسلام ضد السامية، الإسلام يعادي الحضارات الأخرى،

الإسلام دين رجعي، المسلمون لا يؤمنون بعيسى عليه السلام، المسلمون شعب متخلف وبربري، الإسلام انتشر بالسيف والقائمة قد تطول. (بشاري، 2004: 157-156).

وهناك عدة عوامل وراء التغطية الإعلامية المتحيزة ضد العرب والمسلمين من بينها التباين الثقافي بين العرب والغرب. فالقائم بالاتصال الغربي الذي يغطي منطقة الشرق الأوسط أوالمغرب العربي لا يعرف الكثير عن تاريخ وثقافة العرب والمنطقة ويستند إلى أفكاره المسبقة وقيم وأحكام وتقاليد نظامه في تغطية العرب والمجتمع الإسلامي. والكثير من هؤلاء الصحفيين الذين يقومون بتغطية الشرق الأوسط لا يعرف اللغة العربية ولا الدين الإسلامي ولا التاريخ والحضارة الإسلامية. لقد صفق الغرب كثيرا لتسليمة نسرين وسلمان رشدي عندما شوها الإسلام رغم أن الكاتبين يجهلان تمام الجهل الدين الإسلامي والسيرة النبوية. وجاءت الإشادة والتكريم والجوائز للكاتبين لتشويههما للإسلام وقيمه الإنسانية.

يرى إدوارد سعيد أن التشويه والتضليل والانحياز في تغطية العرب من قبل وسائل الإعلام الغربية يعود بالدرجة الأولى إلى الصراع الحضاري والثقافي بين الغرب والإسلام. وقد ظهر هذا الصراع جليا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانهيار القطبية الثنائية حيث ظهر النظام الدولي الجديد متحديا للتعدد والتنوع الثقافي في العالم. وجاء مصطلح "الإسلاموفوبيا" للتعبير عن الهستيريا التي أصيب بها الغرب ضد الإسلام بعد انهيار الشيوعية، حيث أصبح هذا الأخير يتصدر قائمة أعداء أوروبا وأمريكا. وأكدت دراسات تحليل المضمون أن الكتب المدرسية في مادتي التاريخ والاجتماعيات في المدارس الأمريكية أسهمت بدورها في إفراز إدراك وفكر معاد لكل ما هوإسلام وعرب. والنتيجة

هي أن الأمريكي يتعرض منذ نعومة أظافره إلى جملة من الصور النمطية ومن الأفكار المضللة والمزيفة ضد العرب والمسلمين والإسلام.

في ظل هذا التزييف والتشويه والتغطية السلبية للعرب من قبل الإعلام الغربي نلاحظ أزمة في الإعلام العربي في عملية تسويق صورة إيجابية تصحح هذا الخلل. فالإعلام العربي لم يحدد لنفسه بعد إستراتيجية يستطيع من خلالها تقويم هذا التضليل والتزييف والتلاعب وتقديم البديل العربي الإسلامي للرأي العام الغربي والدولي.فالصناعات الثقافية العربية لا زالت ضعيفة جدا ولم ترق إلى العالمية ولم تعرف كيف توّظف اللغات العالمية للوصول إلى الآخرين.كما يتخبط الإعلام العربي في دوامة من المشاكل والضغوط التي لا تؤهله للقيام بدور فعّال على الصعيد الدولي، أضف إلى ذلك أن الأنظمة العربية ركّزت جهودها في استخدام الإعلام كوسيلة للسلطة وتثبيت الشرعية والتحكم والمراقبة، ولم تول أي اهتمام للبعْد الخارجي أوالدولي، الذي من المفروض، أن يكون من المهام الاستراتيجية للنظام الإعلامي في كل دولة عربية وهوما يستدعي ضرورة الاستثمار وتخصيص ميزانيات معتبرة للصناعات الإعلامية والثقافية. فالصورة النمطية والمشوّهة والمضللة لا تُصحح إلا من خلال تقديم البديل وتقديم المعطيات والبراهين والأدلة المقنعة. كما يمكن تسخير السفارات العربية في الغرب والمراكز الثقافية والنوادي الإسلامية والبعثات المختلفة في تسويق صورة إيجابية حقيقية وواقعية عن الإسلام والمسلمين والعرب وحضارتهم وتصحيح الأفكار المسبقة والصور المزيفة والتشويه المنهجي للإسلام. فالمعركة إذن هي معركة صور وأفكار ورأي عام، وعلى المسلمين والعرب أن يفندوا الأكاذيب والأساطير والحملات الدعائية ويخوضوا معركة الرأي العام والصورة والأفكار بكل اقتدار ومنهجية وفاعلية.

التحديات التي تواجه الفضائيات العربية :

تسابقت الدول العربية وتسارعت نحوالبث الفضائي ليصل عدد فضائياتها إلى ما يزيد على 300. وبالمقابل نلاحظ أن الإنتاج قد بقي على حاله أوزاد بنسبة ضئيلة جدا قد لا تتجاوز 5%. وهكذا نرى أن الفضائيات العربية قد فكرت في الوسيلة وأهملت الرسالة. وبدون أدنى شك فإن الأداء انطلاقا من هذه المعطيات لا يستطيع أن يكون في المستوى المطلوب ولا يستطيع أن يستجيب لتحديات العصر وللثورة المعلوماتية ولتحديات العولمة. أصبحت معظم القنوات الفضائية عبارة عن صناديق بريد تستقبل مخرجات الصناعات الإعلامية والثقافية الغربية وتبثها. في ظل هذه التناقضات الحادة غاب العمل الإعلامي الهادف وغابت إستراتيجية توّجه القنوات الفضائية العربية للتركيز على الإنتاج وخدمة المواطن العربي في تنوير عقله وتوجيهه وتزويده بالرصيد المعرفي والثقافي والديني والحضاري حتى لا يضيع في وسط التدفق الإعلامي العالمي الذي لا يعرف حدود ولا قيم ولا دين.

في ظل فوضى الإعلام الفضائي العربي، طغى البعد التجاري والترفيهي على غالبية القنوات الفضائية العربية باستثناء قلة قليلة جدا لا تتعدى أصابع اليد الواحدة. وفي ظل غياب إستراتيجية واضحة، لا تستطيع أي قناة عربية، أن تدافع عن الهوية العربية الإسلامية ولا تستطيع أن تواجه التدفق الإعلامي الغربي والثقافة العالمية والثورة المعلوماتية والغزوالثقافي. فهذه الأمور كلها بحاجة إلى عمل وتخطيط وتدبير مسبق يعتمد على الدراسة والبحث العلمي. كما تواجه الفضائيات العربية تحديا كبيرا حيث أنها مطالبة بحماية المشاهد العربي من التدفق الإعلامي الغربي ومن التشويه و"التنميط" و"القولبة" وفبركة الواقع حسب أهواء ومصالح القوى الفاعلة في النظام العالمي،هذا من جهة، ومن جهة أخرى

فإنها مطالبة بإبراز الهوية العربية الإسلامية والثقافة والحضارة والوجود العربي الإسلامي عبر ما تبثه من برامج وإنتاج فكري وأدبي. فهناك إذن، تحدي حضاري وتحدي اجتماعي قيمي. فإلى أي مدى ستنجح الفضائيات العربية في تحقيق مهمتها وفي مهمة الدفاع عن الهوية الإسلامية والتاريخ والحضارة العربية الإسلامية ؟ وهل الشروط والمستلزمات اجتمعت وتوفرت لإعطاء البديل ولتقديم ما يرضي المشاهد الغربي والعربي والمشاهد المسلم في مختلف بقاع العام . هل تستطيع الفضائيات العربية أن تتحدى الواقع وتقدم رسالة إعلامية هادفة وجيّدة في قالب يكون بعيدا عن الرتابة والركاكة والروتين؟ هل تستطيع إيقاف ذوبان التراكم القيمي والمعرفي والاجتماعي للمسلم في الثقافة العالمية؟ هل تستطيع الفضائيات العربية مواجهة الغزوالثقافي والرد على مظاهر الاغتراب والذوبان في الغير؟

أزمة الإعلام العربي:

يواجه الإعلام العربي تحديات كبيرة في زمن الحرب على الإرهاب والأحادية القطبية والصراع على الرأي العام والدبلوماسية العامة وحرب الدعاية والتلاعب بالعقول. ما زال الإعلام العربي، الغائب الكبير على الصعيدين المحلي والدولي، يحاول جاهدا تضييق الفجوة بينه وبين الشارع العربي وتسويق الصورة الحقيقية لأمته وشعبه وحضارته ودينه للآخر، لكن التناقض الجسيم بين إرادة السلطة من جهة ومتطلبات المهنة من جهة أخرى تركت الإعلام العربي سجين طموحاته يتخبط في مشكلات عديدة جعلته مجرد ببغاء يردد ما تمليه عليه السلطة وبذلك يفشل في أداء مهامه الحقيقية في خدمة الأمة والحقيقة والديمقراطية وتشكيل رأي عام فعال وقوي. يقول الدكتور خضور في هذا الشأن:

إننا نرى أن أزمة الإعلام العربي هي أساسا أزمة الأنظمة العربية. تتألف هذه الأزمة الظاهرة

من عناصر وعوامل موضوعية وذاتية متعددة ومتفاوتة القوة. نؤكد أن العامل الموضوعي،المتمثل في الأنظمة السائدة، هوالعامل الحاسم والمحدد لأزمة الإعلام العربي طبعا، هذا لا يستبعد العوامل الإعلامية الذاتية، ولكنه يؤكد أنها عوامل تابعة وبالتالي مشروطة بالعامل الموضوعي. (خضور،2003: 19-20).

تتسع الهوة يوما بعد يوم بين الشمال والجنوب ورغم الإنجازات التي حققتها الدول العربية فيما يتعلق بتكنولوجيا الاتصال والبنية التحتية يبقى الخطاب الإعلامي العربي ومخرجات النظام الإعلام العربي بعيدين كل البعد عن واقع المواطن العربي وتحديات العولمة والألفية الثالثة. والسؤال الذي يستوقفنا هنا هوهل من استراتيجية إعلامية عربية ؟ وهل قدمت الدورات السنوية لمجلس وزراء الإعلام العرب رؤية وإستراتيجية عربية لمواجهة التحديات المختلفة التي يطرحها الإعلام والثورة المعلوماتية والاتصالية؟

يحتاج العالم العربي إلى تفعيل نظامه الإعلامي وإلى وضع استراتيجية وخطة إعلامية عربية واضحة الرؤية والمعالم. كما يحتاج إلى آليات وميكانيزمات وطرق تسيير وإدارة تخرجه من الأجواء الضيقة إلى مجالات واسعة يستطيع من خلالها إيجاد مكانة مرموقة له سواء محليا أوعالميا. لا نستطيع الكلام عن إعلام عربي قوي وفعال إذا كان هذا الإعلام على مستوى كل دولة ضعيف ويفتقد للمصداقية وللجرأة في طرح القضايا الحساسة والمصيرية التي تهم الشارع. الملاحظ هوأن غالبية الدول العربية لم تفلح في

استعمال الجهاز الإعلامي كما ينبغي ولم تستغله في تجسيد مشاريعها التنموية في أرض الواقع، وإذا نجحت الدول العربية في استغلال الجهاز الإعلامي لتمرير خطاب السلطة وفي فرض الإعلام العمودي فإنها فشلت فشلا دريعا في إرساء قواعد الإعلام الديمقراطي المسئول، الإعلام الأفقي الذي ينتقد ويحلل ويبني ويشرك الجماهير في العملية السياسية والتنمية المستدامة. كما يفتقد الإعلام العربي للجرية والمصداقية والجرأة والشجاعة في طرح القضايا الحساسة التي تهم الشارع. المطلوب هوتحديد أولويات وإستراتيجيات النظام الإعلامي على مستوى كل قطر عربي قبل الانطلاق في تحديد استراتيجية إعلامية عربية لمواجهة تحديات الألفية الثالثة.

ما زالت إشكالية علاقة السلطة بوسائل الإعلام بحاجة إلى دراسة متأنية وإعادة نظر صريحة وجريئة حتى تصبح المؤسسة الإعلامية في الوطن العربي مؤسسة فاعلة، تغيّر وتكشف وتحقق وتستقصي. وإذا كانت المؤسسة الإعلامية خاضعة وتابعة ومنفذة فتصبح عملية مواجهة العولمة وتحديات الألفية الثالثة مجرد شعارات خاوية. كيف يتعامل الإعلام العربي مع الآخر لتسويق الصورة الحقيقية للعرب وللإسلام ومواجهة الصور النمطية والتضليل والتشويه؟ المؤسسة الإعلامية العربية ما زالت لم ترق إلى المؤسسة الإعلامية بالمعنى الكامل للكلمة سواء من حيث الإدارة أوالتسيير أوالتنظيم أوالهيكلة أوالوسائل أوالكادر البشري. ففي الكثير من الحالات نلاحظ المساومات والتجاوزات والمتاجرة بالمهنة على حساب المبادئ والقوانين والأخلاقيات، وغالبا ما تُستعمل المؤسسة الإعلامية لأغراض ومصالح ضيقة جدا تكون في صالح فئة معينة أوحزب معين أوتيار معين على حساب الغالبية العظمى من أفراد المجتمع. إنه من الصعب جدا الكلام عن إعلام خارجي لا يمتلك هوية ولا

يعبر عن هوية. يرى الدكتور خضور في هذا الشأن:

ثمة علاقة ملتبسة تربط الإعلام العربي بذاته وموضوعه وبواقعه وبالآخر الذي يتوجه إليه. يكمن جذر إشكالية الإعلام العربي الموجه للآخر في عدم تقديم أجوبة مكتملة عن أسئلة جوهرية طال طرحها: من نحن، وأية هوية نحمل، من هوهذا "الآخر"، وما هومفهومنا له، وأية رسائل نريد؟

(خضور، 2003: 47-48).

يشكل موضوع الصناعات الثقافية والإنتاج الإعلامي العربي، ومدى قدرته على التفاعل مع الإنتاج العالمي وعلى تسويق الفكر والصورة والذهنية العربية، تحديا كبيرا ورهانا أكبر للدول العربية قاطبة. وإذا أخذنا موضوع القنوات الفضائية العربية كمثال للخطاب الإعلامي العربي أوكمثال لمخرجات الآلة الإعلامية العربية نجد أن معظم هذه الفضائيات ركّزت على التكنولوجيا وأهملت الرسالة ومعظم هذه الفضائيات تفتقر لخطة ولإستراتيجية ولميزانية لإنتاج الرسالة الإعلامية الهادفة التي تواجه بها التدفق الإعلامي العالمي الغزير.

تحديات الألفية الثالثة في مجال الاتصال والمعلوماتية متشعبة ومتعددة وخطيرة في نفس الوقت، والعالم العربي يجد نفسه اليوم أمام واقع يحتم عليه التحكم في التطورات التكنولوجية الهائلة في مجال الإعلام والاتصال ومواكبتها وهذا لا يعني التحكم في التكنولوجيا دون التفكير في الرسالة والمحتوى والإنتاج بعبارة أخرى في المخرجات. والتحدي الكبير الذي يواجه العالم العربي هوحماية الهوية الثقافية والحضارية للأمة العربية والإسلامية وشخصيتها القومية ومواجهة الذوبان في الثقافة العالمية (الأمريكية) التي لا تعترف لا بالحدود ولا بالقيم ولا بالآخر.

التحدي الأكبر الذي يواجه الدول العربية في مجال الإعلام هوتحرير هذا الإعلام وتحرير الطاقات والمهارات والإبداعات والاستغلال الأمثل للقدرات والإمكانيات المادية والبشرية لإرساء قواعد ومستلزمات صناعة إعلامية متطورة رشيدة وفعالة وقوية تستطيع أن تنافس وأن تقنع وأن تسوّق الأفكار والقيم والأصالة والهوية العربية الإسلامية للآخرين، كل هذه الأمور تتطلب الدراسة والبحث وإقامة علاقة متينة وتفاعل وتبادل وحوار صريح بين السلطة والمؤسسة الإعلامية والقائم بالاتصال والجمهور من أجل إرساء قواعد الثقة والمصداقية والفعالية في الأداء.

ستكون معركة القرن الحادي والعشرين معركة إعلامية اتصالية معلوماتية يحسم نتيجتها مسبقا من يعرف كيف يستغل تكنولوجية الإعلام والاتصال وصناعة المعرفة. فالأمة العربية من الخليج إلى المحيط بحاجة إلى تحرير إعلامها وبحاجة إلى مواجهة النقد والاستقصاء والكشف عن العيوب والنقائص والتجاوزات، والكشف عن الأخطاء والتعلم منها. فالإعلام الحر والديمقراطي والفعال هوبارومتر تقدم الشعوب وتطورها، وبدون إعلام حر لا يحق للأمة العربية الإسلامية أن تتكلم عن مخاطبة الآخر ومواجهة الحملات الدعائية والصور النمطية ومختلف الصناعات الثقافية التي تنال من كرامة الأمة وشرفها.وبدون نظام سياسي ديمقراطي يؤمن بحرية الفرد في المجتمع العربي ويوفر له مستلزمات الممارسة السياسية الديمقراطية فإنه لا يحق لنا أن نلوم الإعلام العربي أونكلفه بأكثر مما هوقادر عليه.

غياب مشروع إعلامي عربي:

فشل العرب في امتلاك مشروع قومي وسياسي وتنموي وثقافي

وإعلامي. فالإعلام العربي، ورغم التطورات الكمية التي شهدها خلال العقود الخمسة الأخيرة لم يكسب الرهان التاريخي في امتلاك مشروعا عربيا متكاملا يعكس البعد العربي الإسلامي العالمي والإنساني. فالإعلام العربي الموّجه للآخر يمثل امتدادا طبيعيا وموضوعيا للإعلام العربي الداخلي. يحدد الدكتور خضور خصائص هذا الإعلام على النحوالتالي:

1. يعكس الإعلام العربي الموجه إلى الآخر الواقع العربي الذي يفتقر إلى امتلاك الهوية والمشروع والسياسة...

2. يفتقر الإعلام العربي الموجه إلى الآخر إلى إمكانية امتلاك مقومات تحديد الرسالة الإعلامية المتكاملة والمتماسكة...

3. يفتقر الإعلام العربي الموجه إلى الآخر إلى إمكانية صياغة رسّالته الإعلامية بما يتلاءم مع الجماهير المستهدفة لأنه لا يعرفها، ومع قوانين الإعلام ونظرياته نظرا لهيمنة عقلية الموظفين البيروقراطيين عليه وافتقاره إلى كوادر إعلامية مبدعة.

4. يفتقر الإعلام العربي الموجه إلى الآخر إلى المقدرة الكافية على الوصول والتأثير نظرا لأنه يفتقر إلى التنوع وإلى الاستمرارية وإلى المهنية العالية التي تمكنه من امتلاك قوة الحضور والتأثير والمنافسة. (خضور،2003: 53).

فإلى أي مدى سينجح الإعلام العربي في تحقيق مهمة الدفاع عن الهوية الإسلامية والتاريخ والحضارة العربية الإسلامية ؟ وهل الشروط والمستلزمات اجتمعت وتوفرت لإعطاء البديل ولتقديم ما يرضي المشاهد الغربي والعربي والمشاهد المسلم في مختلف بقاع العام؟ هل يستطيع الإعلام العربي أن يتحدى الواقع ويقدم رسالة إعلامية هادفة وجيّدة في قالب يكون

بعيدا عن الرتابة والركاكة والروتين؟ هل يستطيع الإعلام العربي إيقاف ذوبان التراكم القيمي والمعرفي والاجتماعي للمسلم في الثقافة العالمية؟ هل يستطيع مواجهة الغزوالثقافي والرد على مظاهر الاغتراب والذوبان في الغير؟

غيّرت أحداث 11 سبتمبر وقبلها انهيار الاتحاد السوفييتي والمنظومة الاشتراكية اتجاهات اهتمامات وبؤر تركيز الغرب من الأيديولوجية الشيوعية إلى الإسلام، هذا الدين الذي ينتشر في 55 دولة ويعتنقه أكثر من مليار وثلاثمائة مليون نسمة إضافة أنه ينتشر بسرعة كبيرة في عدد من دول العالم. الإشكالية تحتاج إلى إجرائين اثنين الأول يتمثل في مواجهة حملات التشويه والتضليل والدعاية والحرب النفسية وهذا يحتاج إلى عمل إستراتيجي علمي ومنهجي يقوم على هندسة الإقناع ولغة الأدلة والحجج والبراهين والمنطق. أما الإجراء الثاني فيتمثل في الاستغلال الأمثل للمكانة التي تحتلها البلاد الإسلامية في الخريطة الاقتصادية العالمية فهناك خمس دول إسلامية وهي الجزائر وتركيا وباكستان واندونيسيا ومصر تشكل إلى جانب دول أخرى دول المحور التي تحسب لها أمريكا حسابات كبيرة في سياستها الخارجية. لقد زادت أحداث 11 سبتمبر من حدة صراع الحضارات لكنها في نفس الوقت فتحت الباب على مصراعيه لمئات الآلاف في الغرب لدراسة الإسلام وفهمه والتعرف على الآخر والتحاور معه. فالعالم اليوم شرقه وغربه أمام تحديات كبيرة جدا تتمثل في التحاور والتفاهم من أجل الأمن والاستقرار وإيجاد نظام عالمي عادل ومتكافئ ينعم فيه الجميع بالاحترام المتبادل والتعايش السلمي.

الغرب والعالم الإسلامي: المواجهة بدل الحوار:

تتميز العلاقة بين الغرب والإسلام بالمواجهة بدلا من الحوار، وبالتقصير

من قبل الجانبين في إحلال الفهم والتعاون لتجنب العداء والصراع. كيف ينظر كل طرف إلى الآخر ولماذا انتشرت ثقافة الخوف والصراع والاستئصال بدلا من التفاهم والتكامل والتعايش؟ ماذا يمثل الغرب للمسلمين؟ هل يمثل المسيحية أم العلمانية أم الإلحاد؟ هل يرمز إلى الثورة الاقتصادية والثورة المعلوماتية والمجتمع الرقمي والتنوير وحقوق الإنسان والحريات الفردية وحرية الفكر والرأي، أوتمثله الفاشية والعنصرية والاستعمار والهيمنة، أم أن الغرب تمثله كل هذه المقومات والعوامل والظواهر؟

الغرب مفهوم ضبابي تمثله كل التناقضات والظواهر والعوامل السابقة والتي قد يناقض بعضها البعض. ما يُقال عن الغرب يُقال عن الإسلام كذلك حيث أننا لا نستطيع أن نتكلم عن مجتمع إسلامي مثالي خال من أي تأثير للثقافة والحضارة الغربيتين. كما أن العالم الإسلامي ليس عالما متجانسا بالضرورة، فهوعالم يتسم بتناقضات داخلية عديدة ومتنوعة، قد تكون في بعض الأحيان حادة. من جهة أخرى نلاحظ أن الغرب لا يعني بالضرورة الديانة المسيحية وأنه عالم لا يسكنه سوى الأوروبيون؟ الغرب يحتوى على جنسيات وديانات عديدة ومختلفة ومنها الديانة الإسلامية. فهناك ملايين المسلمين يعيشون في الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية. ففي عصر العولمة هناك تداخل مستمر وخليط ومزيج بين الثقافات والمعتقدات والديانات وأنماط المعيشة. وهنا نلاحظ أن الإسلام كدين، يؤمن بهذا التنوع ويحترم الأديان والمعتقدات، فالتنوع والاختلاف والتمايز هي سنة من سنن الله التي لا تبديل لها ولا تحويل، فالإسلام يرفض مذهب الصراع والتصادم ويمجد التدافع الحضاري وفلسفته. جاء في كتابه سبحانه وتعالى:

"لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن

ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون" المائدة:48.

"يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير" الحجرات:13.

فالتنوع والاختلاف من حكم الخلق من اجل أن يكون هناك تدافع وتنافس على طريق الصلاح والإصلاح والخيرات. فالمستقبل في الرؤية الإسلامية تتعدد فيه الديانات والملل والشرائع. فالإسلام يعترف بوجود تتعدد فيه العوالم المختلفة والتي تقوم على التنوع والتمايز والاختلاف والتعارف والتعايش. في هذا السياق يرى الدكتور عمارة:

على حين ينكر كلٌ الآخر وينفيه، يتفرد الإسلام والمسلمون بالاعتراف بكل الشرائع والملل وجميع النبوات والرسالات، وسائر الكتب والصحف والألواح التي مثلت وحي السماء إلى جميع الأنبياء والمرسلين، منذ فجر الرسالات السماوية وحتى آخر وخاتم هذه الرسالات...وفوق هذا الاعتراف، هناك القداسة والتقديس والعصمة والإجلال لكل الرسل وجميع الرسالات. (عمارة، 2004: 20).

وبالمقابل نلاحظ أن المشروع الغربي يهدف إلى إلغاء المشروع الإسلامي ويفرض العولمة والقيم الغربية على العالم بأسره ويطبق مبدأ الإنكار والاستئصال. ما هي المسافة إذن، التي تفصل العالم الإسلامي عن الغرب؟ الحقيقة أن الأجندة التي وضعتها وسائل الإعلام والصناعات الثقافية المهيمنة على الصعيد الدولي- والتي هي في واقع الأمر محتكرة من قبل حفنة من الشركات المتعددة الجنسيات العملاقة- تُقدم العالم الإسلامي في صورة

التخلف والتعصب الديني والقمع وانعدام حقوق الإنسان والحريات الفردية واضطهاد المرأة والأقليات، والقائمة قد تطول. كما تتناول وسائل الإعلام الغربية الأعمال الإرهابية والمتطرفة التي تقوم بها بعض الجماعات الإسلامية على أنها جزء من الدين والفكر والسلوك الإسلامي، وبذلك تساوي بين هذه الأعمال الإرهابية والإسلام وتستنتج أن الإسلام هودين الإرهاب على نحوشمولي وتتناسى وتتجاهل أن الدين الإسلامي بريء من هذه الأعمال وأن سبب التطرف والإرهاب هوالظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والحرمان والإقصاء وغير ذلك. كما تتناسى هذه الوسائل أن التطرف والإرهاب موجودان في جميع الأديان وفي مختلف دول العالم. والأخطر من هذا، أن هناك فريق من المفكرين والمنظرين والباحثين يدعمون وينظرون ويرّوجون لهذه الأفكار العنصرية والتضليلية من خلال أطروحاتهم وأفكارهم ودراساتهم وتحليلاتهم. وقد أنضم إلى هؤلاء، مجموعة من القادة السياسيين الفاعلين على المستوى الدولي للتأكيد على هذه الصور النمطية وربط الإسلام والمسلمين بالإرهاب والتطرف والعنف والجرائم والتخلف وإقصاء الآخر. في هذا السياق يقول الدكتور السعدون:

وما يملأ الإعلام الأمريكي من هجوم على الإسلام وحضارته كوّن أنموذجا للقولبة المطلوبة في التعامل مع حالة تحتل أولوية في اهتمام هذه الوسائل الإعلامية. فالإسلام عند هذه الأجهزة دين (شيطاني) يعلي من مبدأ استخدام العنف ويلجأ إلى القتل ويعبر عن كل ما هومتخلف في الحياة. (السعدون، 2002: 119).

كيف ينظر المسلمون إلى الغرب؟ نلاحظ صور نمطية، وأفكار مسبقة وتعميم وتشويه وتضليل وغياب النية وانعدام الإرادة لمعرفة الآخر وواقعه

الحقيقي. نلاحظ في الكثير من الأحيان أيضا طغيان العاطفة على الفكر والعقل والمنطق. فالكثير من المسلمين يحكم على الغرب من خلال قادته وساسته وليس من خلال شعوبه . فالمتتبع هذه الأيام للعلاقة بين الإسلام والغرب يلاحظ المواجهة والصدام والنزاع الناجم عن ثنائية الذهنيات بين المتعصبين والمتنورين من الجانبين. فالصراع الموجود هذه الأيام بين التعصب والتفتح لا يقتصر على العالم الإسلامي فحسب، بل يوجد في معظم الأديان. فعدم التسامح الذي يوجد عند الجماعات الإسلامية المتطرفة، نجد مثله وبنفس الحدة أوأكثر عند الكنائس الأصولية في الولايات المتحدة الأمريكية والمتطرفين اليهود ودعاة الصهيونية. والنتيجة، مع الأسف الشديد، هي تأثير هذه المواقف والأفكار على العلاقات الدولية. كما تؤدي هذه الأفكار إلى تأجيج الكراهية والحقد ونشر ثقافة الانتقام والإقصاء. هذه المشاعر الحاقدة تتسم بالرفض المطلق للآخر انطلاقا من مبدأ أن الآخر يجب التخلص منه لأنه عدويجب القضاء عليه. فلا مجال للنقاش أوالحوار أوالاستماع والتفاوض. ولا مجال حتى لمعرفة في ماذا يفكر الآخر وما هي وجهة نظره؟ هذه الظاهرة موجودة وتنتشر عند كل طرف، في المجتمعات الإسلامية والغربية على حد سواء وهي ليست في صالح أي طرف بطبيعة الحال.

تجدر الإشارة هنا إلى بعض القضايا التي أثرت وتؤثر تأثيرا بالغ الأهمية على تصور كل طرف للطرف الآخر وعلى العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب. وعلى رأس هذه القضايا، القضية الفلسطينية والمواقف التي يتخذها الغرب إزاء الصراع العربي الإسرائيلي. وكذلك غزوالعراق من قبل القوات الأمريكية والبريطانية وتدهور الأوضاع إلى حد لا يطاق. فضلا عن الموقف الغربي من سوريا وإيران وأفغانستان والشيشان وكشمير وكذلك

الموقف من انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي. هذا إضافة إلى مشكلات أخرى تظهر من حين لآخر كمشكلة الحجاب وتصريحات البابا بنيدكتوس السادس عشر والرسوم المتحركة المسيئة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن الأسباب التي أدت إلى المواجهة بدلا من التعايش بين الإسلام والغرب هوالخوف المتنامي من الإسلام والذي ضخمته وسائل الإعلام بطريقة منهجية ومنظمة. يحدد الدكتور بشاري أسباب خوف الغرب من الإسلام على النحوالتالي:

1. الخطر من امتلاك الأسلحة النووية (إيران-باكستان).
2. انهيار الأيديولوجية الشيوعية.
3. المواجهة التاريخية بين العالم الإسلامي والدول الأوروبية.
4. ظهور تيارات في الدول الأوروبية معادية لأبناء المهاجرين والجالية المسلمة.
5. انتشار الثقافة الإسلامية في الغرب.
6. اعتبار الكفاح الفلسطيني ضد العدوالإسرائيلي إرهاب.
7. عمليات اختطاف الرهائن واغتيالهم من قبل جماعات إسلامية.

(بشاري، 2004: 150-151).

الواقع أن العالمين الإسلامي والغربي دخلا في حلقة مفرغة، تتطلب التفكير في إيجاد الحلول الناجعة لتحويل الصراع والمواجهة وإقصاء الآخر إلى الحوار والتفاهم والاستفادة من الآخر والتكامل. الأمر يتطلب تغيير في السياسات الخارجية الغربية وتغيير في العلاقة بين السلطة والفرد في العالم

الإسلامي الذي يحتاج إلى إصلاح في أنظمته السياسية وتجديد في خطابه الإسلامي. المجتمعات المدنية في كلا العالمين مطالبة بكسر الحواجز والتحلي بالشجاعة الكافية لمواجهة الواقع بالنقد الذاتي والتفكير الإيجابي البنّاء بدلا من التفكير السلبي الانتقامي الهدام. يحتاج الوضع الراهن كذلك إلى قانون دولي عادل يكون المفتاح المنظم للعلاقات بين الدول وهذا يعني كذلك استقلالية منظمة الأمم المتحدة وتفعيل دورها ووكالاتها في تحقيق الأهداف التي أُسست من أجلها، ومن أهمها الأمن والسلام العالميين والتفاهم والحوار والتكامل بين الشعوب والأمم والديانات والحضارات. من جهة أخرى يتوجب على علماء الدين والفقهاء وصناع القرار والرأي العام من مفكرين وصحفيين ومثقفين وباحثين وأكاديميين سواء في الغرب أوفي العالم الإسلامي، العمل على نشر ثقافة التسامح والحوار والتفاهم ونشر وتعميق القيم المشتركة بين الشعوب واحترام الحضارات والديانات والثقافات مهما اختلفت وتباينت.

إشكالية التعايش والمواجهة بين الإسلام والغرب:

كثر الكلام في السنوات الأخيرة، وخاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، عن الإسلام والغرب وما هوالمطلوب والواجب عمله، الحوار أم المواجهة؟ فريق يرى أن الحوار لا جدوى من ورائه خاصة وأن العلاقة بين الغرب والشرق-بلاد الإسلام- ليست متكافئة في جميع الميادين-العسكرية، الاقتصادية، التقنية ...الخ، فلا فائدة من الحوار، خاصة وأن الغرب بقوته وهيمنته على الصناعات الثقافية والإعلامية مستمر في حملاته الدعائية والصور النمطية وحملات التشويه والتضليل ضد الإسلام والمسلمين والعرب. فأحداث 11 سبتمبر 2001 ومن بعدها الحرب على الإرهاب شكلتا أرضا خصبة للتحريض ضد العرب والمسلمين بدعوى أن الإرهاب والصراع والصدام

والقتل والعنف من صلب الإسلام الذي لا يعترف بالحوار والتفاهم والتعايش. وفريق أخر يصر على الحوار وعلى ضرورته ويرى أن عدم الحوار يعني الهروب من الواقع وإعطاء الفرصة للمتربصين بالإسلام وأعداء الدين الحنيف ليفعلوا ما يشاءون بقيمه المثلى وتعاليمه الإنسانية. عدم الحوار هوالتنصل من مسؤولية كبيرة جدا وهي شرح وتفسير الإسلام والدفاع عنه وتقديمه على حقيقته للآخر.

وإذا سلمنا بالحوار، هل الدول الإسلامية والمسلمون والمؤسسات الإعلامية والثقافية في بلاد العرب والمسلمين قادرة على القيام بدورها ومسؤوليتها وفتح قنوات حوار وتواصل مع الآخر حتى يعرف حقيقة الإسلام؟ هل هي مؤهلة ولها القدرات والإمكانيات والوسائل واللغة والأسلوب والطريقة للوصول إلى الآخر؟ الواقع يشير إلى ضعف كبير في الوسائل والإمكانيات والمناهج والطرائق...الخ. فالمؤسسات الدينية كالأزهر الشريف بحاجة إلى تطوير ومسايرة القرن الحادي والعشرين ومسايرة مجتمع ثورة المعلومات والانترنيت والمجتمع الرقمي وما إلى ذلك. فالفقهاء وعلماء الدين والشريعة إذا أرادوا الوصول إلى الآخر وإذا أرادوا فهم وشرح وتفسير الدين الإسلامي بمنطق العصر والألفية الثالثة عليهم إتقان لغة الآخر وعلوم العصر حتى يجادلون الآخر ويقدمون له الإسلام بلغته ومنطقه وبمنطق العلوم والمعارف. فالجميع يلاحظ هذه الأيام، وخاصة بعد أحداث سبتمبر 2001، التشويه والحملات الدعائية المنظمة ضد الإسلام والمسلمين والعرب، وهذا الوضع يحتاج إلى عمل منهجي ومنظم من قبل المسلمين للرد بالبينة والحجة والبرهان والمنطق وباللغات العالمية. تجديد الخطاب الإسلامي مسؤولية الجميع وخاصة أهل العلم والفقه والتفسير والاجتهاد الذين هم بحاجة إلى التحكم في

فنيات الإقناع والحوار ومخاطبة الآخر من خلال تقنيات تعتمد على برامج الكمبيوتر الحديثة وفنيات العرض والجرافيك المتطورة التي تخاطب العقل مباشرة وتؤثر فيه. الدعاة بحاجة إلى التحكم في فن الخطابة والإلقاء وكيفية التعامل مع المفاهيم الدينية والعقائد بشكل جديد في أسلوب طرحها وتقديمها للآخر، وكذلك القدرة على تفنيد الأساطير والحملات الدعائية والشبهات والتضليل والتشويه بطريقة يفهمها العقل الغربي.

الإشكالية الأخرى التي تُطرح في موضوع الإسلام والغرب وضرورة الحوار والتعايش هي التجمعات الإسلامية -جمعيات، مراكز، نوادي- الموجودة في الغرب وإلى أي مدى استفاد منها المسلمون لخدمة الإسلام وشرحه وتفسيره وتقديمه للأخر. ما هي آليات عمل هذه التجمعات؟ ماذا عن التنسيق فيما بينها وما هودورها في خدمة الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية في بلاد الغرب؟ لم ترق هذه التجمعات إلى المستوى المطلوب من حيث التنسيق والمتابعة والتنفيذ فيما بينها في بلاد المهجر وفيما بينها والمؤسسات الدينية في المجتمعات الإسلامية. وبدون تعميم، نجد أن معظم هذه التجمعات تنقصها الوسائل والإمكانيات الضرورية لمحاورة الآخر والتعايش مع الآخر، ومسيّسة تخدم جهات محددة وأيديولوجيات قد تناقض قيم الإسلام. التجمعات الإسلامية في الغرب عبارة عن جزر معزولة، فهي لا تعاني من العزلة فقط وإنما تعاني من التهميش وعدم التنسيق مع مؤسسات دينية أخرى كذلك-المجامع الدينية، الأزهر الشريف والجامعات الإسلامية الكبرى المنتشرة في الدول العربية والإسلامية- هذه المؤسسات التي تستطيع تزويدها بالكثير من الوسائل والإمكانيات لتأدية رسالتها بطريقة حضارية ومنهجية وعلمية.

الإشكال الأخر المطروح على مستوى الحوار مع الغرب يتمثل في

الالتباس في موضوع الحوار نفسه. وهنا يجب الاقتناع بأن الطريق الصحيح لبناء علاقة إيجابية مع الآخر ، بعيدا عن الصور النمطية والأفكار المسبقة، هوالحوار. أما من يرى أن الحوار مع الأخر لا فائدة منه انطلاقا من مبدأ أن الآخر لا يقبل الحوار ولا يريد الحوار، فهذا المنطق خطأ ولا جدوى من ورائه،وهنا يجب أن نقر أن التقصير فينا وليس في الآخر، فالرسول صلى الله عليه وسلم خاطب كفار قريش وهو في حالة الضعف ولا حول ولا قوة له. كما أستطاع أن يبلغ الرسالة لشعوب عديدة كانت تتفوق عليه في المال والجاه. فإذا كانت القضية صحيحة ومبنية على الحق والمنطق فباستطاعة الأمة الإسلامية أن تحاور الآخر وتفند الأساطير والأكاذيب وتقدم الحقيقة للعالم، لكن بشرط أن تُقدم هذه الحقيقة ببساطة ووضوح ومنهج وطريقة تقوم على العلم والمنطق ولغة العصر وأساليب المجتمع الرقمي. فالتعامل مع الغرب يجب أن يتم وفق عقلية يفهمها الغرب أي ضرورة تطوير الخطاب الإسلامي وضرورة تطوير طرق وأساليب الدعوة الإسلامية ومحاورة الآخر بالتي هي أحسن. العالم الإسلامي بحاجة إلى إستراتيجية إعلامية محكمة وإلى عشرات بل المئات من الفضائيات الموجة للآخر، كما أنه بحاجة إلى مئات الأفلام والبرامج والمنتجات الثقافية والإعلامية تقدم البديل للآخر وتبصره بالحقيقة الكاملة وتفند الأساطير والأكاذيب من أجل بناء جسور وقنوات الاتصال والتواصل والحوار مع الآخر بهدف التفاهم والتعايش والتكامل وليس التصادم والصراع والاستئصال.

سبل تصحيح صورة الإسلام وبناء حوار فعال مع الآخر:

بعد استعراض فشل الحوار وظاهرة الإسلاموفوبيا والتشويه المنهجي للإسلام والمسلمين والعرب، وأزمة الإعلام العربي وغياب مشروع إعلامي عربي لمواجهة الصور النمطية والتشويه والتضليل، ما هوالحل وما هي

الإجراءات العملية لتصحيح الوضع وبناء جسور الحوار والتفاهم مع الآخر؟ فيما يلي نستعرض جملة من الإجراءات التي يجب أن تقوم بها الدول العربية والإسلامية لبناء حوار فعال لمواجهة الوضع غير السوي ولتقديم الصورة الحقيقة للإسلام والمسلمين وللرد على الأساطير والأكاذيب في حق الإسلام والمسلمين.

1. تحرير الإعلام العربي من القيود ومن القوانين البالية: وهذا يعني تحرير القائم بالاتصال والمثقف العربي من كابوس الرقابة الذاتية حتى ينتج رسالة إعلامية قادرة على المنافسة والتأثير في الرأي العام سواء على الصعيد المحلي أوالدولي. وكذلك جعل المؤسسة الإعلامية وسيلة للإبداع والإنتاج الفكري ومنبرا للحوار والنقاش البناء.

2. توفير الإمكانيات والوسائل وشروط النجاح للقائم بالاتصال حتى يؤدي رسالته على أحسن وجه. والعمل على تطوير مهاراته وإمكانياته من خلال دورات تعليمية وتدريبية بصفة دورية ومستمرة.

3. تجديد الخطاب الإعلامي العربي: الخطاب الإعلامي الإسلامي والعربي بحاجة إلى تطوير وإلى منهج جديد في الشكل وفي المضمون وفي المنهجية. حيث ضرورة تحريره وإعطائه الحرية الكاملة لطرح القضايا الرئيسية التي تهم الشارع والرأي العام سواء محليا أودوليا مع ضرورة تماشيه مع متطلبات العصر واحتياجاته، وكذلك الخروج من النمطية والرتابة والتبعية.

4. إنشاء مرصد عربي لوسائل الإعلام الغربية: العرب بحاجة إلى مرصد لوسائل الإعلام الغربية لمتابعة التجاوزات في حق الإسلام والمسلمين

والعرب والرد عليها بالسرعة الفائقة وتفنيد كل الأساطير والأكاذيب والحملات الدعائية. هذا الرصد يجب أن يكون منهجي وبطريقة منظمة لمتابعة أولا بأول كل ما يسيء للإسلام والمسلمين والعرب في مختلف وسائل الإعلام العالمية وفي مختلف المنتجات الثقافية.

5. إنشاء مركز للدراسات والبحوث: يقوم بتزويد صانع القرار بالمعلومات والإحصائيات الضرورية لاستخدامها في تصحيح صورة العرب والمسلمين وفي إقامة حوار منهجي وبناء مع الآخر.

6. الاستثمار في الصناعات الإعلامية والثقافية: إذ يجب توجيه المزيد من الاهتمام بالصناعات الثقافية والإعلامية في الوطن العربي والإسلامي. وزيادة المنتج الثقافي والإعلامي العربي والإسلامي الذي يعنى بتصحيح الصورة.

7. استخدام وسائل الإعلام الجديدة واستغلال التكنولوجيات الجديدة للإعلام والمعلومات للوصول إلى الآخر ومخاطبته سواء من خلال الانترنيت أو"المدونات" Blogs أوالبريد الإلكتروني...الخ.

8. تجديد الخطاب الديني لمواكبة منطق العصر ولغة العصر ووسيلة العصر والابتعاد عن الركاكة والرتابة والروتين والتكرار والارتجال، مع الحرص على تقديم الرسالة الدينية بأسلوب المنطق وهندسة الإقناع وعرض وتقديم المادة الإعلامية بعدة لغات سواء عن طريق الفضائيات أوالانترنيت أوالصحف والمجلات العالمية...وغير ذلك من الوسائل والقنوات.كما يجب على العلماء والفقهاء ورجال الدين لتقديم خطابا دينيا عصريا يتماشى مع التحديات التي تعيشها البشرية في القرن الحادي والعشرين.ويسعى لبناء جسور

الحوار والتفاهم بين شعوب العالم.

9. إنشاء بنك معلومات عن انجازات العرب والمسلمين وإسهاماتهم في الحضارة العالمية وكل ما يساعد في بناء رسالة إعلامية قوية تساعد في الرد على التشويه والتضليل والصور النمطية.

10. إنشاء مركز دراسات مستقبلية يعنى باستشراف واقع ومستقبل العرب والمسلمين ويرسم سيناريوهات بديلة لسبل التفاهم والحوار بين العرب والغرب.

11. الاستثمار في العلاقات العامة والدبلوماسية العامة: فالمؤسسات الدينية والمراكز الإسلامية والجامعات الإسلامية كلها بحاجة إلى جهاز علاقات عامة للوصول إلى ذهن الآخر وإقناعه بالبينة بماهية الإسلام وعظمته وعالميته.

12. تفعيل دور الدبلوماسية العربية في محاورة الآخر وبناء جسور العلاقات الطيبة معه وتخليصه من الأفكار المسبقة والصور النمطية والأكاذيب والأساطير التي رسخها في ذهنه الإعلام الدولي.

13. تفعيل الحوار مع المجتمع المدني في الدول الغربية (جمعيات،أحزاب، نقابات، منظمات غير حكومية، أندية...الخ): هناك قطاعات عديدة في المجتمع الغربي لوعرف العرب والمسلمون كيف يتعاملون معها لاستطاعوا الحصول على تأييدها ودعمها لهم في خدمة القضايا العربية والإسلامية. فهناك هيئات مختلفة من المجتمع المدني في الغرب تقف ضد العولمة وضد الحرب الأمريكية البريطانية في العراق وضد جرائم الكيان الصهيوني في فلسطين وضد العنصرية والتمييز والتفرقة ضد العرب

والمسلمين. فالعرب والمسلمون مطالبون بالتعاون وإقامة علاقات مع هذه التنظيمات لخدمة قضاياهم وللوصول للرأي العام العالمي والتأثير فيه.

14. تفعيل الحضور الثقافي العربي الإسلامي في الغرب (المعارض، الندوات، المحاضرات، المؤتمرات): حيث أن بناء الحوار مع الآخر والوصول إليه والتأثير فيه يتطلب استثمار منهجي ومستمر ودائم لتأكيد الحضور الإعلامي وبناء الصورة.

15. إنشاء قنوات فضائية تبث باللغات العالمية: هناك غياب شبه تام للفضائيات العربية والإسلامية التي تبث بلغات أجنبية للآخر وهذا يعني وجود فراغ كبير يستغله الآخر وخاصة أعداء الإسلام لتمرير ما يريدون من أكاذيب وأساطير وحملات دعائية حيث أن الآخر يتمتع بوجود كبير جدا في البث الفضائي الدولي، في حين يبقى الحضور الإعلامي الإسلامي والعربي محدودا جدا.

16. استئجار أوقات بث في وسائل الإعلام العالمية وخاصة من خلال وسائل الإعلام الدولية التي تتمتع بانتشار عالمي واسع.

17. إنشاء إذاعات موّجهة بلغات غربية من أجل فتح قنوات تواصل وحوار مع جماهير واسعة وفي دول مختلفة عبر العالم.

18. تفعيل عمل الأقليات المسلمة في الغرب والتعاون معها في إيصال الرسالة إلى الآخر: توجد أقليات مسلمة في دول عديدة في العالم. فهناك خمسة ملايين مسلم في فرنسا، ونفس العدد في الولايات المتحدة الأمريكية، وهناك أعداد معتبرة كذلك في بريطانيا ودول أوروبية أخرى كبلجيكا وهولندا والدانمرك وألمانيا وإسبانيا وإيطاليا...الخ. هذه الأقليات بإمكانها أن تلعب دورا

كبيرا في إنشاء قنوات حوار وتفاهم مع الآخر وبإمكانها كذلك أن تعطي الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين من خلال الرد على الحملات الدعائية والصور النمطية والتغطيات الإعلامية المسيئة والمشوهة للإسلام والمسلمين. يحتاج عمل الأقليات الإسلامية في الغرب إلى التخطيط والبرمجة والتنسيق فيما بينها ومع المرجعيات الدينية في العالم الإسلامي حتى تنجح في القيام بواجبها وأداء رسالتها على أحسن وجه ؛ وحتى لا تُسَيس وتُستغل من جهات قد تسيء للإسلام والمسلمين أكثر مما تخدم حوار الإسلام مع الغرب.

19. إنشاء وتمويل ودعم أقسام وكليات ومعاهد للدراسات الإسلامية والشرق أوسطية في كبريات الجامعات الغربية وتمويل البحث العلمي فيها وتوفير المنح الدراسية والبحثية لطلاب الدراسات العليا وللباحثين في قضايا الإسلام والشرق الأوسط. وكذلك تنظيم جوائز ومسابقات عالمية للدراسات والبحوث الإسلامية والشرق أوسطية.

20. تأهيل وتطوير الكادر الإعلامي لمواكبة التطورات في مجال تكنولوجيا الإعلام والمعلومات والتحكم في اللغات العالمية والمهارات اللازمة لإنتاج الرسالة الإعلامية الفعالة والناجحة.

الخاتمة:

يعتبر الحوار مع الغرب تحدي كبير يواجهه كل مسلم في القرن الحادي والعشرين. ونجاح الحوار يتوقف على استعداد الطرفين للتحاور والتفاهم. والمقصود بالاستعداد هنا هونية الحوار وإرادة فهم الآخر ومحاولة التعرف عليه واحترامه. كما يقوم الحوار على الاحترام المتبادل والإنصاف والعدل ونبذ التعصب والكراهية. (التويجري، 1998: 17). وحتى يكون الحوار

ناجحا يجب أن يكون متا كفئا ومتوازيا بين الطرفين. ما نلاحظه اليوم بين الإعلام العربي والغرب هوسيطرة الصناعات الإعلامية والثقافية الغربية وخاصة الأمريكية منها على تدفق الأخبار والمعلومات في العالم. هذا الوضع جعل الإعلام العربي نظاما تابعا ومستهلكا غير قادر على الحوار والنقاش ومواجهة الآلة الإعلامية والدعائية الغربية. فالوضع الراهن يتطلب استثمار منظم ومنهجي في الصناعات الإعلامية والثقافية لتقديم مخرجات إعلامية وثقافية وعلمية تخاطب الآخر بلغته ومنطقه وتبصره بالأدلة والبينة والحجج والبراهين بواقع الإسلام والمسلمين وتاريخ الحضارة الإسلامية.

أفرزت الحملات الدعائية والصور النمطية والتشويه المنهجي التي تبنته الآلة الإعلامية والصناعات الثقافية الغربية موقفا سلبيا ومعاديا للإسلام والعرب. ففي الوقت الذي يعترف فيه الإسلام بالآخر وباحترام الديانات والثقافات والحضارات والشعوب نلاحظ رفض النصرانية واليهودية للآخر وللتعدد والاختلاف وعدم القبول بالآخر والعمل على استئصاله. المتضرر الأول من هذا الوضع هم المسلمون والعرب وهم بذلك بحاجة إلى تحرير إعلامهم من القيود والتبعية والأزمة التي يتخبط فيها، وهم كذلك بحاجة إلى مشروع إعلامي واضح المعالم يواجهون به التشويه والتضليل ويقدمون من خلاله حضارتهم وحقيقة دينهم وتعاليمه ومبادئه . كما أنهم بحاجة إلى إستراتيجية عمل وإلى مشاريع يقدمون من خلالها الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين والعرب والحضارة الإسلامية. موقف المسلمين كذلك من الغرب، بحاجة لأن يتخلص من نظرية المؤامرة ومن الأحكام المسبقة والصور النمطية وفكرة أن الآخر لا نية له للتحاور والتفاهم. العرب والمسلمون بحاجة أن يهتموا بصناعة الصورة والرأي العام. انعدام الحوار أوعدم تكافؤ الحوار .

وصراع الديانات وصراع الحضارات لا يخدم إلا الطرف الذي يريد أن يعيش في ظل الأكاذيب والأساطير والتشويه والتضليل والصور النمطية، والطرف الذي يريد أن يسيطر ويهيمن ويفرض ثقافته ووجهة نظره ويقصي الآخر.

المراجـــع

- حسونة المصباحي، "العرب والإسلام في نظر المستشرق الفرنسي جاك بيرك"، صحيفة الشرق الأوسط،2000/11/1.
- د/ أحمد معاذ علوان حقي، "الدعوة الإسلامية والعولمة: عقبات وتطلعات"، بحث مقدم لندوة "مقتضيات الدعوة في ضوء المعطيات المعاصرة"، كلية الشريعة والقانون، جامعة الشارقة، الشارقة 17-19 أبريل 2001.
- د/ أديب خضور، أزمة الإعلام...أم أزمة أنظمة. الطبعة الأولى. دمشق: المكتبة الإعلامية، 2003.
- د/ حميد حمد السعدون، الغرب والإسلام والصراع الحضاري. عمان: دار وائل للنشر، 2002.
- د/ سليمان صالح، "كيف نواجه تحيز وسائل الإعلام الغربية ضد الإسلام"، بحث مقدم لندوة "مقتضيات الدعوة في ضوء المعطيات المعاصرة"، كلية الشريعة والقانون، جامعة الشارقة، الشارقة 17-19 أبريل 2001.
- د/ عبد الحق حميش، "توظيف الانترنيت في الدعوة إلى الله"، بحث مقدم لندوة "مقتضيات الدعوة في ضوء المعطيات المعاصرة"، كلية الشريعة والقانون، جامعة الشارقة، الشارقة 17-19 أبريل 2001.

■ د/ عبد الستار إبراهيم الهيتي، "الدور الدعوي لقناة الشارقة الفضائية: الواقع والطموح"، بحث مقدم لندوة "مقتضيات الدعوة في ضوء المعطيات المعاصرة"، كلية الشريعة والقانون، جامعة الشارقة، الشارقة 17-19 أبريل 2001.

■ د/ عبد العزيز بن عثمان التويجري، الحوار من أجل التعايش. القاهرة: دار الشروق، 1998.

■ د/ عبد الله بن محمد آل موسى، أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي. الرياض: عالم الكتب، 1985.

■ د/ عبد الله علي العليان، حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين: رؤية إسلامية للحوار. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004.

■ د/ عزالدين البوشيخي، "الإسلام في ظل العولمة والانفتاح الحضاري"، بحث مقدم لندوة "مقتضيات الدعوة في ضوء المعطيات المعاصرة"، كلية الشريعة والقانون، جامعة الشارقة، الشارقة 17-19 أبريل 2001.

■ د/ علي حسين الدوري،"البث الفضائي وآثاره على القيم العربية الإسلامية"، بحث مقدم لندوة "مقتضيات الدعوة في ضوء المعطيات المعاصرة"، كلية الشريعة والقانون، جامعة الشارقة، الشارقة 17-19 أبريل 2001.

■ د/ محمد بشاري، صورة الإسلام في الإعلام الغربي.الطبعة الأولى. دمشق: دار الفكر،2004.

■ د/ محمد عمارة، الإسلام والآخر: من يعترف بمن؟ .. ومن ينكر من؟ الطبعة الرابعة. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2004.

■ د/ محمد قيراط، " 2006 وتصاعد الإسلاموفوبيا ؟"، جريدة البيان، العدد 9697، ص: 27.

■ د/ محمد قيراط، " الإسلام والغرب..تعايش أم مواجهة ؟"، جريدة البيان، العدد 9725، ص: 26.

■ د/ محمد قيراط، " الغرب والعالم الإسلامي..كيف ينظر كل طرف للآخر؟"، جريدة البيان، العدد 9732، ص: 26.

■ د/ محمد قيراط، الإعلام والمجتمع: الرهانات والتحديات. الطبعة الأولى. بيروت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 2001م. بالعربية).

■ د/ محمد قيراط، قضايا إعلامية معاصرة. ،الطبعة الأولى . بيروت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 2006.

■ د/ مي العبد الله ود/ محمد الخولي، (إعداد وإشراف) الإعلام والقضايا العربية بعد 11 أيلول 2001: نحوخطاب إعلامي عربي جديد. بيروت: دار النهضة العربية،2002.

■ د/ هيركومر وجيرنوت روتر، صورة الإسلام في التراث الغربي، ترجمة ثابت عيد. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 1999.

■ د/ يوخن هبلر وباربارا كونرت، الغرب والعالم الإسلامي: نظرة إسلامية. شتوتغارت: معهد العلاقات الخارجية، 2004.

■ مجموعة من الكتاب، الإسلام والغرب. الطبعة الأولى. الكويت: كتاب